الشكل الأيقوني، يقارب هنا الشكل الممثل لدورة الشمس في صعودها وانحدارها عند ابن رشيق. إذ تتم في المثال إعطاء استعارة الشكل الهرمي للخباء في انحداره على الجانبين مع بروز قمته الحادة في الوسط.

أما بخصوص توالي الأبيات، فيقول حازم القرطاجني: «ويجب أن تعلم أن أبيات الشعر وإن كانت أوائلها منفصلة عن أواخرها، فإن النظام فيها في تقدير الاتصال على استدارة. وإن كان وضع الأوزان الشعرية وترتيبها ترتيباً زمنياً لا يمكنك أن ترجع بالنهاية إلى زمان المبدأ. بل تكون بينهما فسحة في الزمان ولا بد، وترتيب البيت المضروب، ترتيب مكاني إذا بدأت بأي موضع شئت منه ثم درت عليه تأتّى لك أن ترجع إلى الموضع الذي بدأت منه بنقلة مستديرة على اتصال من غير أن يكون بين المبدأ والنهاية فسحة...»[35].

لعل كلام حازم المقدم أعلاه يوضح بما فيه الكفاية ميكانيزمات الاستعارة في لغة النقد القديم، إذ الترتيب المكاني للبيت أو الخباء استعير للترتيب الزماني للبيت الشعري بحيث تم الربط بين المسموع والمنظور.

أما القصيدة فنذهب في تأويل توالي أبياتها إلى مبدأ دلالة الجزء على الكل، فالقصيدة تنتصب انتصاب الخباء، وهي في ذلك كالناظر إليها من فوق، من هنا كان إنتاج النص الشعري شبيهاً بحياكة خيوط سدى الخباء الوبري، يقول ابن جني في باب الضرورات: «... ألا ترى ما يروى عن زهير من أنه عمل سبع قصائد فى سبع سنين، فكانت تسمى حوليات زهير لأنه كان يحوك القصيدة في سنة...»[36].

والخباء في دلالته المكانية وكباعث على قول الشعر يرتبط بالحنين إلى الأهل ومن ثمة يقول حازم: «... قصدوا أن يحاكوا البيوت التي كانت أكنان العرب ومساكنها، وهي بيوت الشعر، ولكونهم يحنون إلى إذكار ملابسة أحبابهم لها واستصحابهم لها واشتمالها عليهم، بالأقاويل (...) ومتى أمكن أن يهيىء الشيء الذي يجعل تذكره لشيء آخر، ويقصد به تمثيله في الأفكار بهيئة تشبه هيئة ذلك الشيء المقصود تذكره من وجوه كثيرة سيشتق بها الشبه، كان أنجع في التحريك إليه والانصباب في شعب الولوع إليه...»[37].

وفي هذا ما يؤكد أن الشكل الأيقوني المتولد عن اشتغال النص في فضاء المسند أشبه بشكل الخباء «فشكل القصيدة هو بالنسبة لمواضيعه، نفس ما تمثله الخيمة بالنسبة لساكنيها، إلا أن الموضوع الرئيسي للشعر هو بالتحديد حياة سكان الخيمة...»[38].

---

(35) نفسه، ص. 255.

(36) ابن جني، الخصائص، ج 1، ص: 328.

(37) حازم القرطاجني، م.م، ص. 250.

(38) Rachid Elghozi. Hamadı Samoud ın poétique. N° 38, Au 1979.